



IRAQI  
Academic Scientific Journals



العراقية  
المجلات الأكاديمية العلمية

ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)

**Journal of Language Studies**

Contents available at: <http://www.iasj.net/iasj/journal/356/about>



## The Voice and the Rhythm of Rhythm in Ibn Zurayq Al-Baghdadi's Friction

**Rozhan Ahmed Rafiq\***

Charmouu University / College of Education

[Rozhan@charmouuniversity.org](mailto:Rozhan@charmouuniversity.org)

&

**Nawal N. Karim**

Charmouu University / College of Education

[nawal.noman@charmouuniversity.org](mailto:nawal.noman@charmouuniversity.org)

Received: 12 / 1 / 2023 , Accepted: 12 / 3 / 2023, Online Published: 1 / 4 / 2023

©2023 College of Education for Women, Tikrit University. This is an open Access Article under The Cc by LICENSE <http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>



### Abstract

This research works in its vocal field to study one of the most prominent and important Arab poetic texts in the Abbasid literature, with what it represents of vocal conflicts unique to it over what corresponds to it in its purpose from the poetry of the same era. These conflicts worked to highlight the strengths in its formal construction and how this text It revolved around it in various aspects and levels of measurement, structure, composition, and rhetoric, with what was reflected on it in pictures that revealed its contents, the content of its discourse, and the richness of its material. My attention to this aspect came specifically, because of the impact of vocal performance that many researchers and scholars hardly notice in shaping the normative structure of poetic texts, which is basically based on intonation and tirades that do not go unnoticed if we say that it is one of the basic and authentic elements of building Arabic poetry.

**Keywords:** Sounds, Rhythm, Ibn Zureik, Structures, Structures, Poetic Sea.

\* Corresponding Author: Rozhan Ahmed, Email: [Rozhan@charmouuniversity.org](mailto:Rozhan@charmouuniversity.org)

Affiliation: Charmouu University - Iraq

## الصَّوْتُ وَإِقَاعِيَّةُ النَّظْمِ، فِي فِرَاقِيَّةِ ابْنِ زُرَيْقِ البَغْدَادِيِّ

م.م. روثان رفيق أحمد

جامعة جرمو / كلية التربية

و

أ.م. د. نوال نعمان كريم

جامعة جرمو / كلية التربية

### المستخلص

يَعْمَلُ هَذَا الْبَحْثُ - فِي حَقْلِهِ الصَّوْتِيَّ - عَلَى دِرَاسَةِ نَصِّ مِنْ أَبْرَزِ وَأَهَمِّ النُّصُوصِ الشَّعْرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْأَدَبِ الْعَبَّاسِيِّ، بِمَا يُمَثِّلُهُ مِنْ نَزَعَاتٍ صَوْتِيَّةٍ انْفَرَدَ بِهَا عَلَى مَا يُنَاطِرُهُ فِي عَرْضِهِ مِنْ شِعْرِ الْحِقْبَةِ نَفْسِهَا، عَمَلَتْ تِلْكَ النَّزَعَاتُ عَلَى إِبْرَازِ مَكَامِنِ الْقُوَّةِ فِي بِنَائِهِ الشَّكْلِيِّ، وَكَيْفَ أَنَّ هَذَا النَّصَّ تَمَحُّورَ حَوْلِهَا فِي شَتَّى جَوَانِبِ وَمُسْتَوِيَّاتٍ قِيَاسِهَا، بِنَائِيًّا، وَتَرْكِيبِيًّا، وَبِلَاغِيًّا، بِمَا انْعَكَسَ عَلَيْهِ فِي صُورَةٍ جَلَّتْ عَنْ مُضَامِينِهِ وَقَحْوَى خِطَابِهِ، وَتَرَاءٍ مَادَّةٍ تَكْوِينِهِ. وَقَدْ جَاءَ اعْتِنَائِي بِهَذَا الْجَانِبِ تَحْدِيدًا، لِمَا لِلْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ مِنْ أَثَرٍ لَا يَكَادُ يَحْفَلُ بِهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْبَاحِثِينَ وَالدَّارِسِينَ فِي تَشْكِيلِ مَعْيَارِيَّةِ بِنَاءِ النُّصُوصِ الشَّعْرِيَّةِ، وَهِيَ الَّتِي تَقُومُ فِي الْأَسَاسِ عَلَى التَّنْغِيمِ وَالْإِطْرَابِ الَّذِي لَا تُمَارَى إِذَا قُلْنَا إِنَّهُ أَحَدُ مَقْوَمَاتِ بِنَاءِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْأَصِيلَةِ وَالْأَسَاسِيَّةِ.

الكلمات الدالة: الأصوات، الإيقاع، ابن زريق، الأبنية، التراكيب، البحر الشعري .

### مهاده نظري

إِنَّ إِنْجَازَ أَيِّ عَمَلٍ أَدَبِيٍّ شِعْرًا كَانَ أَوْ نَثْرًا يَحْتَاجُ - فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَمْتَلِ لَهُ - إِلَى عَدَدٍ مِنْ مَقْوَمَاتِ الْبِنَاءِ الشَّكْلِيَّةِ وَالْجَوْهَرِيَّةِ، الَّتِي لَا يَنْهَضُ النَّصُّ عَلَى سَاقِهِ، وَلَا يَنْمَازُ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ أَجْنَاسِ الْأَدَبِ الْأُخْرَى فِي مَوْضُوعِهِ، وَغَايَتِهِ إِلَّا بِهَا، وَهَذَا دَيْدَنُ أَيِّ عَمَلٍ أَدَبِيٍّ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ أَوْ تَمْيِيزٍ. وَأَنْطِلَاقًا مِنْ هَذَا التَّأْطِيرِ النَّظْرِيِّ، يُمَكِّنُ الْجَزْمُ بِكُلِّ قُوَّةٍ، بِأَنَّ لِكُلِّ جِنْسٍ مِنَ الْأَجْنَاسِ الْأَدَبِيَّةِ حُدُودًا مُمَيَّزَةً وَفَاصِلَةً لَهُ عَنْ غَيْرِهِ، لَا يَصِحُّ - بِحَسَبِ مَجْرَى الْعَادَةِ - الْوُثُوبُ عَلَيْهَا وَإِدَابَتُهَا؛ بِمَا يُعْطِي أَنْطِبَاعًا حَيَالَهُ بَعَثَوَانِيَّةِ الْبِنَاءِ.

وَقَدْ فَطَنَ الْعَرَبِيُّ الْقَدِيمُ إِلَى هَذِهِ الْفَوَارِقِ بَيْنَ الشَّعْرِ وَالنَّثْرِ، فَأَحَاطُوا الشَّعْرَ بِسِيَاحٍ مَنِيْعٍ لَا يَحْدُثُ مَعَهُ لَبْسٌ أَوْ تَخْلِيْطٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبُنَى التَّكْوِينِيَّةِ لِسَائِرِ أَجْنَاسِ الْأَدَبِ الْمَعْرُوفَةِ لَدَيْهِمْ، فَانْفَرَدَ الشَّعْرُ بِمَجْمُوعَةٍ مِنْ

مَقَوِّمَاتِ الْبِنَاءِ الَّتِي صَاغَهَا الْمَرْزُوقِي ضِمْنَ مَا يُسَمَّى اصْطِلَاحًا لَدَى النَّقَّذَةِ وَالْأُدْبَاءِ بِعَمُودِ الشَّعْرِ، فَكَانَ مِنْ تِلْكَ السَّمَاتِ الَّتِي احْتَاطَ بِهَا الشَّعْرُ (المرزوقي، 1951: 9).

ذَلِكَ حَيْثُ اشْتَرَطَ فِي عَمُودِ الشَّعْرِ أَشْرَاطًا لَا تَنْطَلِي إِلَّا عَلَيْهِ، وَمِنْهَا الْجَانِبُ الصَّوْتِيُّ، الَّذِي صَاغَهُ بِقَوْلِهِ: "... وَالتَّحَامِ أَجْزَاءِ النَّظْمِ وَالتَّيَامِمَا عَلَى تَخْيِيرٍ مِنْ لَذِيذِ الْوَزْنِ" (المرزوقي، 1951: 8-9) وَلَذِيذُ الْوَزْنِ عِنْدَهُ لَيْسَ حَصْرًا فِي الْبُحُورِ الْخَلِيلِيَّةِ، بَلْ تَجَاوَزَ حُدُودَ تِلْكَ النَّظَرَةِ الْقَاصِرَةِ إِلَى الْإِيْقَاعِ الشَّعْرِيِّ الْعَامِّ الْمُوَثَّرِ فِي شَكْلِ النَّصِّ وَجَمَالِيَّتِهِ وَفَحْوَى دَلَالَتِهِ؛ إِذْ رَبطَ بَيْنَ لَذَّةِ الْمَوْسِيقِيِّ وَالْعَنَاصِرِ الْأَخْرَ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي تَعْرِيفِهِ لِعَمُودِ الشَّعْرِ مِنْ شَرْحِهِ عَلَى الْحَمَاسَةِ بِقَوْلِهِ: "إِنَّهُمْ كَانُوا يُحَاوِلُونَ شَرْفَ الْمَعْنَى وَصِحَّةَ، وَجَزَالَةَ اللَّفْظِ وَاسْتِقَامَتَهُ، وَالْإِصَابَةَ فِي الْوَصْفِ...". (المرزوقي، 1951: 8-9) وَمِنْ تَأْطِيرِهِ بَيْنَ لَذَّةِ الْوَزْنِ وَهَذِهِ الْعَنَاصِرِ نُدْرِكُ كَيْفَ أَنَّهُ اتَّيَّبَهُ لَجَوْهَرِيَّةِ الْإِيْقَاعِ الْمَوْسِيقِيِّ الْمُنْبَعَثِ مِنْ أَصْوَاتِ الْكَلِمَاتِ الْمَفْرَدَةِ الَّتِي شَكَّلَتْ اللَّبِنَةَ الْأُولَى فِي بِنَاءِ النَّظْمِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَحْبِسَ وَظِيفَةَ الْإِيْقَاعِ الصَّوْتِيِّ لِلأَحْرَفِ وَالْكَلِمَاتِ عَلَى التَّأْيِيرِ الْجَمَالِيِّ الَّذِي يُحْدِثُهُ فِي نَفْسِ مُتَلَفِّهِ، بَلْ تَخَطَّى ذَلِكَ إِلَى إِلَى عَدِّ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْإِيْقَاعِ عَلَامةً فَارِقَةً فِي تَمْيِيزِ الشَّعْرِ عَنِ النَّثْرِ، بَلْ وَفِي تَمْيِيزِ جَيِّدِ الشَّعْرِ مِنْ رَدِيئِهِ.

وَمِنْ تِلْكَ الْعَايَةِ أَنْطَلَقْتُ أُعْرِدُ فِي سَمَاءِ الْأَصْوَاتِ الْمُشْكَلَةِ لِلْبَعْدِ الْجَمَالِيِّ وَالتَّأْيِيرِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ الْفَرَاقِيَّةِ لِابْنِ زُرَيْقِ الْبَغْدَادِيِّ، تَحْتَ عُنْوَانِ (الصَّوْتِ وَإِيْقَاعِيَّةِ النَّظْمِ، فِي فَرَاقِيَّةِ ابْنِ زُرَيْقِ الْبَغْدَادِيِّ)، عَلَى أَنْ تَكُونَ مُرْتَكِزَاتِ الدَّرَاسَةِ عَلَى مَحَاوِرَ ثَلَاثَةٍ:

- الْمِحْوَرُ الْأَوَّلُ: الْإِيْقَاعُ الْخَارِجِيُّ - فِي مَنْظُومَةِ ابْنِ زُرَيْقِ - وَأَثَرُ الْأَصْوَاتِ فِي تَشْكِيلِهِ.
- الْمِحْوَرُ الثَّانِي: الْإِيْقَاعُ لِدَاخِلِيٍّ - فِي مَنْظُومَةِ ابْنِ زُرَيْقِ - وَالْبِنِيَّةُ الصَّوْتِيَّةُ.
- الْمِحْوَرُ الثَّلَاثُ: الدَّرْسُ الصَّوْتِيُّ، وَالْإِيْقَاعُ الْبَلَاغِيُّ.

## (الْمِحْوَرُ الْأَوَّلُ)

### الْإِيْقَاعُ الْخَارِجِيُّ - فِي مَنْظُومَةِ ابْنِ زُرَيْقِ - وَأَثَرُ الْأَصْوَاتِ فِي تَشْكِيلِهِ

إِنَّ النَّصَّ الشَّعْرِيَّ - خَاصَّةً - يَقُومُ عَلَى طَبَقَاتٍ صَوْتِيَّةٍ مَائِزَةٍ لَهُ، تَعْمَلُ عَلَى تَرْوِيدِ النَّصِّ بِمُعَامِلَاتِ الْجَمَالِ وَالتَّأْيِيرِ وَإِضْفَاءِ نَوْعٍ مِنَ الدَّلَالَاتِ الَّتِي لَا تَطْهَرُ جَلِيَّةً لِمُسْتَقْبَلِهِ إِلَّا مِنْ خِلَالِهَا، وَهَذِهِ الطَّبَقَاتُ تَقَعُ مِنْهُ مَوْقِعًا إِحْيَانِيًّا دَلَالِيًّا، وَهِيَ مَا تَصْنَعُ فِي النَّصِّ خَصِيصَةً الْمُثِيرِ الْمُتَطَلِّبِ لِاسْتِجَابَةٍ مُحَدَّدَةٍ (شَرْتَح، 2011: 7)، وَتَنْقَسِمُ إِلَى دَاخِلِيَّةٍ وَخَارِجِيَّةٍ، تُشْكَلَانِ مَعًا رَوْنَقًا إِبدَاعِيًّا يَأْخُذُ بِبَدِ الْمُتَلَفِّ إِلَى حَيْثُ يُرِيدُ الشَّاعِرُ.

أَمَّا الْخَارِجِيَّةُ فَيَنْتَمِلُ فِي الْوَحَدَاتِ الصَّوْتِيَّةِ وَمَقَاطِعُهَا الَّتِي تُشْكَلُهَا تَفْعِيْلَاتُ الْبَحْرِ، وَمَوْسِيقَى الْقَافِيَّةِ، وَمَا تَعَكِّسُهُ الرَّحَافَاتُ وَالْعِلَلُ فِيهِ مِنْ انْكِسَارٍ فِي تِلْكَ الْوَحَدَاتِ، بِمَا يَنْسَجِمُ مَعَ خُصُوصِيَّةِ الْعَرَضِ الْمَنْظُومِ

عليه، وتظهر الطبقات الصوتية الخارجية في النص الشعري جلية ملحوظة للسامع، من خلال ما تحدثه في نفسه من انجذاب لها وطرب بها؛ فيكون أميل ما يكون إلى الشغف بالنص، والتجاوب معه بسببها.

أما الداخلية، فلا تظهر واضحة إلا بكد خاطر وإعمال فكر؛ ذلك أنها لا تبرز بوزن الخارجية فور تلقى النص، فإن لها من التجليات ما لا يدرك في النص الشعري إلا بمحاولته، بالوقوف عند الأبنية والاشتقاقات وما شابه ذلك مما له في النفس وقع. هذا، إلى جانب قياس وقع الصوت الداخلي على السامع بواسطة الطرق البلاغية، والأساليب البديعية، غير أنني آثرت إفرادها تحت عتبة مستقلة بنفسها؛ لما لها من تأثير يفارق ما سأذكره في موضعه من الحديث على دلالات الصوت الداخلي للنص الشعري المتخذ من الأبنية والتركيب والاشتقاقات الصرفية.

وحيث كان كلامنا تحت تلك العتبة عن الصوت الخارجي المشكل للبنية الإيقاعية في قصيدة (لا تعدليه) أو القصيدة الفراقية لابن زريق، سقنا من هذا النص ما عساه يقف بالقارئ على مدى تأثير هذا الصوت الخارجي في نفسه، ومدى ما يلحفه بالنص من دلالات فرعية شكلية تسهم بدورها في إنماء وإثراء مادة النص، من خلال تشكلاتها الموسيقية الكامنة في الوحدات الصوتية المكونة لتفعيلات البحر المنظوم عليه. وإن مما يشكل الوعي بدلالة النص الشعري المعول فيه على الجوانب الصوتية المنبثقة عن الإيقاع الموسيقي للبحر، قول ابن زريق البغدادي (الصفدي، 2000: 76/21) من قصيدته الفراقية (السراج، د ت: 23-24/1) على نغم بحر [البسيط]:

لا تعدليه؛ فإن العذل يولعه	قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
جاوزت في نصح حداً أضر به	ممن حيث قدرت أن النصح ينفعه
قد كان مضطجعاً بالخطب يحمله	فضلعت بخطوب البين أضلعه
ما أب من سفر إلا وأزعجه	عزم إلى سفر بالرغم يرمعه
كأنما هو في حل ومرتحل	موكل بقضاء الله يذرعه
استودع الله في بغداد لي قمرًا	بالكرخ من فلك الأرزار مطلعه
وكم تشفع بي أن لا أفارقه	وللضرورات حال لا تشفعه
وكم تشببت بي يوم الرجيل ضحى	وأدمعي مستهلات وأدمعه
أعطيت ملكاً، فلم أحسن سياسته	وكل من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غداً لأبسا ثوب النعيم بلا	شكر عليه؛ فعنه الله ينزعه
والحرص في المرء، والأرزاق قد قُسمت	بغني، ألا إن بغني المرء يصرعه

لَوْ أَنَّنِي لَمْ تَقَعْ عَيْنِي عَلَى بَلَدٍ      فِي سَفَرِي هَذَا إِلَّا وَقَطَعْتُهُ  
اعْتَضْتُ مِنْ وَجهِ خَلِي بَعْدَ فِرْقَتِهِ      كَأَسَا تَجَرَّعَ مِنْهَا مَا أُجْرَعُهُ

فَإِنَّ مِنْ مُعْرَزَاتِ الْقِيَمَةِ الْجَمَالِيَّةِ فِي هَذَا النَّصِّ، صِدْقُ الْعَاطِفَةِ الْمُنْبَعَثَةِ مِنْ وَجْدَانِ الشَّاعِرِ الْمُحْتَرِقِ بِجَذْوَةِ الْفِرَاقِ عَنِ ابْنَةِ عَمِّهِ، الَّتِي أَوْعَلَ حُبُّهَا فِي قَلْبِهِ إِلَى الْعَايَةِ الَّتِي دَفَعَتْهُ إِلَى الْاِعْتِدَارِ لَهَا مِنْ مُجَانِبَتِهِ الْإِنصَاتِ لَهَا حِينَ نَصَحَتْهُ بِعَدَمِ السَّفَرِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، مُعْتَمِدًا فِي أَكْثَرِ مَا رَاحَتْ نَفْسُهُ تَتَشَوَّفُ إِلَى تَطْوِيعِ النَّظْمِ لِرِصْدِ اخْتِلَاطَاتِهِ فِيهَا، عَلَى الْبِنْيَةِ الصَّوْتِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ مُتَمَثِّلَةً فِي تَوْظِيفِهِ لِبَعْضِ الْأَدْوَاتِ الْمَوْسِيقِيَّةِ ذَاتِ الطَّنِينِ الْمُؤَثِّرِ فِي وَجْدَانِ وَذَهْنِ الْمُتَلَقِّي، إِلَى دَرَجَةِ الْاِنْفِعَالِ بِهِ وَالتَّفَاعُلِ مَعَهُ؛ جَرَاءَ مَا أَصَابَهُ مِنْ فِتْنَةِ الْاِعْتِرَابِ مِنَ التَّشَوُّقِ وَالتَّحَرُّقِ لِابْنَةِ عَمِّهِ.

### 1-1 وزن البحر، ومدى تأثيره الصوتي :

وَقَدْ غَمَسَ النَّصُّ فِي قَالِبِ وَزْنِي بَدِيعٍ طَالَمَا اسْتَمَرَّهُ الشُّعْرَاءُ فِي الْأَغْرَاضِ الْمُعْمَعَةِ فِي الْحُزْنِ رَثَاءً، وَفُقْدَانًا، وَتَفَجُّعًا عَلَى عَزِيزٍ، فَإِنَّ لِبَحْرِ الْبَسِيطِ مِنَ الصَّوْتِ الْمُبْلُورِ فِي مَقَاطِعِهِ الصَّوْتِيَّةِ وَتَفْعِيلَاتِهِ الرَّبَاعِيَّةِ "مُسْتَفْعَلُنْ فَاعِلُنْ" مَرَّتَيْنِ فِي كُلِّ شَطْرِ، مَا يُبْرِحُ الْإِنْسَانَ حُزْنًا وَغَمًّا، وَلَا يَعْنِي هَذَا عَدَمَ جَدْوَى تَوْظِيفِ تَفْعِيلَاتِهِ الْأَرْبَعِ فِي غَيْرِ تِلْكَ الْأَغْرَاضِ، وَلَكِنَّ الَّذِي عَنَاهُ الْعَرُوضِيُّونَ بِذَلِكَ - مِنْ خِلَالِ الْاِسْتِقْرَاءِ - أَنَّهُ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا فِي تِلْكَ الْغَايَاتِ مِنْ غَيْرِهَا. وَفِي هَذَا الَّذِي قَدَّمْتُهُ قَطْعِي الدَّلَالَةَ عَلَى حَقِيقَةِ ارْتِبَاطِ عِلْمِ الْعَرُوضِ وَعِلْمِ الْقَافِيَةِ بِالْأَصْوَاتِ اللَّغْوِيَّةِ (مَبْرُوك، 2010: 23-24)، وَقَدْ عُنَيْتُ دِرَاسَاتٍ كَثِيرَةً بِالْبَحْثِ فِي هَذَا الْجَانِبِ، وَمِنْهَا مَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ مِنْ مَصَادِرِ تِلْكَ الْمَادَّةِ فِي هَامِشِ هَذِهِ الصَّفْحَةِ. وَمِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَى تَأْثِيرِ الدَّائِرَةِ الْعَرُوضِيَّةِ لِلْبَحْرِ وَتَفْعِيلَاتِهِ وَمَا يَلْحَقُ بِهَا مِنْ رَحَافَاتٍ وَعِلَلٍ، إِجْرَاءُ ابْنِ زُرَيْقٍ هَذَا النَّصِّ الَّذِي تَشَابَهَ غَرَضُهُ مَعَ كَثِيرٍ مِنَ النَّصُوصِ الشُّعْرِيَّةِ الْمُجْرَاةِ عَلَى الْوِزْنِ ذَاتِهِ لِلْغَرَضِ نَفْسِهِ أَوْ لِمَا هُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ.

وَفِي الْآتِي بَيَانٌ بِخَارِطَةِ هَذَا الْبَحْرِ، وَكَيْفَ أَنَّهُ حَفَرَ مُعْرَزَاتِ الْمَقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ فِي اتِّجَاهِ الْإِبَانَةِ وَالْإِفْصَاحِ عَنِ الْمَعْنَى؛ حَيْثُ لَمْ تَقَعْ مِنْهُ تِلْكَ التَّفْعِيلَاتُ الْأَرْبَعُ مَوْقِعًا عَفْوِيًّا أَوْ مِنْ طَرِيقِ الْمُصَادَقَةِ الْمَحْضَةِ، وَلَكِنَّ الْعَرَبَ الْقَدَامَى لَمْحُوا فِي كُلِّ بَحْرِ مِنْ تِلْكَ الْأَبْحُرِ السِّتَّةِ عَشْرَ وَمَا تَفَرَّعَ عَلَيْهَا مِنَ الْمَجَازِيِّ وَالْمَنَاهِيكِ وَالْمَشَاطِيرِ، أَصَوَاتِهَا الْكَامِنَةَ فِي تَفْعِيلَاتِهَا، فَخَصَّ شُعْرَاؤُهُمْ كُلَّ بَحْرِ بِمُنَاسَبَةٍ وَعَدَدٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ الْأَصِيلَةِ وَأُخْرَى فَرَعِيَّةٍ. وَقَدْ تَمَثَّلَ ابْنُ زُرَيْقٍ هُنَا الْإِيْقَاعَ الصَّوْتِيَّ النَّاتِجَ مِنْ تَفْعِيلَاتِ بَحْرِ الْبَسِيطِ خَيْرَ تَمَثُّلٍ، وَهَضَمَهَا وَتَوَزَّعَهَا عَلَى مُجْمَلِ الْقَصِيدَةِ، بِمَا يُعْطِي انْطِبَاعًا نِهَائِيًّا بِأَنَّهُ عَمَدَ إِلَى اسْتِعْمَالِ تَفْعِيلَاتِ هَذَا الْبَحْرِ (الْبَسِيطِ) بِنَقْطِيعَاتِهَا الصَّوْتِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي اثْنَتَيْنِ مِنْهَا، وَالْمُؤْتَلَفَةِ فِي الْأُخْرَيَيْنِ؛ رَغْبَةً مِنْهُ فِي تَحْقِيقِ عُنْصُرِ التَّأْثِيرِ الْمَوْسِيقِيِّ (الزَمَخْشَرِي، د ط: 53) الْمَصْحُوبِ بِوَاوِزِ الْحُزْنِ الَّذِي مَلَكَ عَلَيْهِ زِمَامُ أَمْرِهِ.

وَإِنْطِلَاقًا مِنْ ذَلِكَ تَأْتِي لِي بَيَانٌ اِنْعِكَاسَاتِ مَوْسِيقَى وَوِزْنِ الْبَحْرِ الْبَسِيطِ فِي نَظْمِ ابْنِ زُرَيْقٍ، وَتَعْيِينِ مَعَالِمِ التَّأْثِيرِ النَّاتِجَةِ عَنِ مَقَاطِعِهِ الصَّوْتِيَّةِ فِي جَمَالِيَّةِ الْأَدَاءِ، وَتَحْقِيقِ الدَّلَالَةِ.

وحيث صاغ ابنُ زريقٍ هذه المنظومةَ البديعةَ على نغم أحدِ البحورِ الشعريَّةِ كثيرةِ الاستعمالِ في مناطِ الحُزنِ واستتارةِ الشَّجنِ، طلبًا لانتظامِ دلالةِ الألفاظِ الموقفةِ في غرضِهِ من تلكَ القصيدةِ معَ دلالةِ مقاطعِ هذا البحرِ الصوتيَّةِ مُجمعةً تحتَ تفعيلتَيْنِ مُتكررتَيْنِ مُستفعلنُ فاعلُن // مُستفعلنُ فاعلُن 4 مرَّاتٍ في كلِّ شطرٍ على نحوِ ما يبدو من تقطيعِ البيتِ:

لا تعذليه فإن العذل يولعه	قد قلت حقًا ولكن ليس يسمعه
لا تعذليي / ه فإن/ نلعزل يُو/	قد قلت حقًا/ قن ولا/ كن ليس
مستفعلن/ فاعلن/ مستفعلن/ فاعلن	مستفعلن/ فاعلن/ مستفعلن/ فاعلن

فمن الملاحظِ في تقطيعِ أصواتِ هذا البيتِ أنَّ عروضةً وضرِبَهُ مخبوتانِ، والخبُنُ يقعُ في عروضِ البسيطِ وضرِبِهِ على سبيلِ الاستحسانِ، ويكُونُ بحذفِ النَّاني السَّاكنِ مِنَ السَّببِ الخفيفِ (المرموزُ لَهُ صوتيًّا، بالحركةِ والسُّكونِ)، ومما يزيدُ من استحسانِهِ في مثلِ هذا البيتِ ما يحمِلُهُ في طياتِ أصواتِهِ المذكورةِ التي استعنى الشاعرُ بها عن المحذوفِ في أداءِ الدلالةِ.

وعلى هذا جرى الشاعرُ في كلِّ قصيدتهِ، وذلكَ مما يظهرُ بإجادةِ الشاعرِ في انتقاءِ البحرِ الذي أجزى فيه منظومتهُ هذه، ليكاملَ بينَ البحرِ بتفعيلاتهِ ومقاطعِهِ الصوتيَّةِ المُعبَّرةِ عن فحوى خطابهِ الشعريِّ، ودلالةِ المفرداتِ والتراكيبِ، والأبنيَّةِ والاشتقاقاتِ، والأساليبِ البلاغيَّةِ التي أختارها في تصويرِ ما وقعَ لَهُ على. فاستغلَّ الجانبَ الصوتيَّ بوصفهِ مُحركًا إيحائيًّا يُعطي انطباعًا تأثيريًّا في السَّامعِ، يحثُّهُ على الاستجابةِ لَهُ والتعاطفِ معَ تجربتهِ الشعريَّةِ التي دلَّ على خُصوصيَّتها بنظمِ الدلالةِ المُحرَّكةِ لوجدانهِ في هذا البحرِ. نستطيعُ الجزمَ بهِ هنا، هو أنَّ اختيارَ الشاعرِ للبحرِ البسيطِ لم يكنِ محضَ مُصادفةً، بل إنَّ فيه نوعًا من استلهاَمِ الإيقاعِ الصوتيِّ الذي شكَّلتُ صورتهُ الحسيَّةُ في السَّمعِ تفعيلاتهُ ومقاطعُهُ الاتِّحاديَّةُ، التي راحَ فيها العربيُّ القديمُ بينَ (مُستفعلنُ) مرَّتينِ، و(فاعلُن) مرَّتينِ في كلِّ شطرٍ من البيتِ؛ لتقعَ من السَّامعِ موقعَ الاستحسانِ، وتدلُّهُ على ما وراءها من المعاني المُختبئةِ في نِّيَّاتِ النَّصويرِ والأبنيَّةِ والتراكيبِ.

## 1-2 الأصواتُ وتناغمُ القافيةِ في قصيدةِ ابنِ زريقٍ.

ومن حيثُ عرَفَ الشاعرُ كفيَّةَ الأداءِ المُنظَّمِ للأصواتِ التي من شأنها أن يُودى بها المعنى، من خلالِ قالبِ جماليِّ إيحائيِّ رثانٍ تُهيمُنُ عليه القيمُ الصوتيَّةُ، سعى كذلكَ إلى **المراتبَةِ** بينَ الوزنِ الذي نظَّم فيه قصيدتهُ بكلِّ ما أوحى لَهُ بهِ من شجنِ، والقافيةِ التي لم يكنِ ليتركَ لِنفسِهِ فسحةً في اختيارها على غيرِ ما يتفقُ معَ سمْتِ البحرِ ومقاطعِهِ الصوتيَّةِ العاكسةِ لِأثرِ شجونِهِ وتحسُّرِهِ على ما فتهُ من البقاءِ في وطنِهِ معَ زوجتِهِ، وابنةِ عمِّهِ.

فَحَدَّدَ لِلنَّصِّ - مِنْ خِلَالِ تِلْكَ الْقَافِيَةِ الْقَوِيَّةِ - مَسَارًا جَدِيدًا ضِمْنَ مَسَارَاتٍ كَثِيرَةٍ وَمُنْتَوَعَةٍ فِي تَارِيخِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ عَلَى الْمُسْتَوَى الصَّوْتِيِّ الْمُتَمَثِّلِ فِي إِيقَاعِيَّةِ الْقَافِيَةِ، الْمُتَنَاعِمِ مَعَ مَقَاطِعِ الْبَحْرِ الْعَرُوضِيَّةِ؛ لِيَنْتَمِ لَهُ فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ مَا شَاءَ.

فَهَا هُوَ يُحَدِّدُ لِنَفْسِهِ مَجَالًا يَضَعُ فِيهِ الْقَافِيَةَ عَلَى رَوِيٍّ مَجْهُورٍ، وَهُوَ حَرْفُ الْعَيْنِ، مَعَ صِلَاتِهِ بِهَاءِ الضَّمِيرِ الدَّالِّ عَلَى الْعَيْبَةِ لِلْمَذْكَرِ الْمُفْرَدِ مِنْ قَوْلِهِ (هُ) مَعَ بِنَاءِ تِلْكَ الصَّلَةِ عَلَى الضَّمِّ، وَهِيَ مِنَ الْحَرَكَاتِ الصَّائِنَةِ الْقَوِيَّةِ الْمُعْبَّرَةِ شَدِيدِ النَّعْبِيرِ عَنِ خِطَابِهِ الشَّعْرِيِّ الْحَزِينِ، فَإِنَّ لِلْوَاوِ وَاللَّضَمَّةِ بِالنَّبَعِيَّةِ مَعْيَارًا فِي تَنْظِيمِ الْمَعَانِي وَالْإِفْصَاحِ بِهَا نَذَكَرُهُ فِي الْآتِي تَفْصِيلًا.

وَقَدْ أَسْمَهُمُ اسْتِعْمَالُهُ لِنَتِكَ الْقَافِيَةِ فِي تَهْيِئَةِ الْمُتَلَفِّي لِاسْتِقْبَالِ هَذَا النَّصِّ مُحْتَفِيًا بِغَايَاتِهِ مُتَشَوِّقًا لِمَا سَيَكُونُ بَعْدُ، لِإِنْجَاحِ الشَّاعِرِ فِي تَعْدِيدِ سِمَاتِ الْقُوَّةِ وَمَظَاهِرِ التَّنْدِيلِ عَلَيْهَا بِتَوْضِيهِ الْقَافِيَةَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ: (عُه).

وَقَدْ مَاتَلَّ بَيْنَ صَوْتِ (الْعَيْنِ) الَّتِي وَقَعَتْ رَوِيًّا لِعُمُومِ الْقَصِيدَةِ، وَصَوْتِ (الْهَاءِ) الْوَصْلِيَّةِ، فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي عِدَّةِ خَصَائِصَ ظَاهِرَةٍ، مِنْ أَثَرِهَا فِي النَّصِّ تَوْطِينُ الْمُخَاطَبِ عَلَى اسْتِشْعَارِ حَقِيقَةِ مَا تَلَبَّسَ بِهِ الشَّاعِرُ مِنَ الْأَسَى الْمُفْرَطِ الَّذِي بَلَغَ مِنْهُ كُلَّ مَبْلَغٍ.

وَمِنْ هَذِهِ الْخَصَائِصِ اسْتِرَاكُهُمَا فِي الْجَهْرِ وَالْإِنْفِتَاحِ وَالْمَخْرَجِ الْحَلْقِيِّ، وَمِنْهَا تَقَاسُمُهُمَا الضَّمَّ الِّي يُعَدُّ مِنْ أَقْوَى الْأَصْوَاتِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ مَا يُشِيرُ إِلَى قُوَّةِ الْقَافِيَةِ وَقُوَّةِ الْمَعْنَى الْمُنزَلَةِ عَلَيْهِ، وَانْبِعَاثِ الصَّوْتِ مِنْ قَلْبٍ مُتَحَرِّقٍ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ مِنْهُ بُدٌّ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ:

مَا أَبَ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا وَأَزْعَجَهُ      عَزَمَ إِلَى سَفَرٍ بِالرَّغْمِ يُزْمِعُهُ  
كَأَنَّمَا هُوَ فِي جِلٍّ وَمُرْتَحَلٍ      مُوَكَّلٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ يَنْزِعُهُ

حَيْثُ أَلْفَ بَيْنَ عُمُقِ فَحْوَى الْخِطَابِ الْمُعْبَّرِ عَنِ الْإِحَاحِ الضَّرُورَاتِ عَلَيْهِ بِالسَّفَرِ، كَأَنَّ قَدْرَهُ مُوَكَّلٌ بِهَذَا الْجَانِبِ مِنْ حَيَاتِهِ، وَبَيْنَ الْقَافِيَةِ الْمَجْهُورَةِ الْمَوْصُولَةِ بِالضَّمِيرِ الْعَاكِسِ لِاتِّصَالِ أَسْفَارِهِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ حَتَّى لِإِنَّهُ لَا يَجِدُ مُتَسَعًا لِلْبَقَاءِ فِي وَطَنِهِ وَلَا لِلسَّتِقْرَارِ فِيهِ عَلَى أَيِّ حَالَةٍ كَانَ هَذَا الْاسْتِقْرَارُ.

وَإِنَّ فِي هَذَا مَا يَدْفَعُ بِنَا إِلَى الْحُكْمِ عَلَى الْقَافِيَةِ الشَّعْرِيَّةِ بِأَنَّهَا مِنْ أَهَمِّ الْمُنْتَجَاتِ الصَّوْتِيَّةِ لِأَثَرِ الْجَمَالِيَّةِ، وَمِنْ أَبْرَزِ مُنْجَزَاتِ الدَّلَالَةِ فِي الْخِطَابِ الشَّعْرِيِّ؛ وَلِذَا لَا يَقِفُ عَلَى وَازِعِهَا الصَّوْتِيِّ فِي أَيِّ مِنَ النُّصُوصِ الشَّعْرِيَّةِ إِلَّا شَاعِرٌ مَتَمَكِّنٌ مِنْ آلَاتِهِ، مُدْرِكٌ لِحَتْمِيَّةِ إِنتَاجِ الْأَصْوَاتِ الَّتِي تَحْمِلُهَا التَّفْقِيَةُ، لِلْوَعْيِ الْجَمَالِيِّ وَالِدَّلَالِيِّ فِي النَّصِّ، وَتَنْجِلِي إِيقَاعِيَّةِ الْقَافِيَةِ فِي جَانِبَيْنِ:

الأوَّلُ: فِي تَرَاتُبِ حُرُوفِهَا، وَانْسِجَامِهَا، وَتَوَازُنِ حَرَكَاتِهَا وَسَكَانَاتِهَا فِي تَتَابُعِ صَوْتِيٍّ مُنْعَمٍ، مِمَّا يُوَدِّي إِلَى جَرَيَانِهَا مَجْرَى الْأَصْوَاتِ الْمَوْسِيقِيَّةِ، إِلَى أَنْ تَسْتَقَرَّ فِي مَوَاضِعِهَا الْمَقْدُورَةِ عَلَى حَسَبِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ (السَّعْدَنِي، 1989: 76 )، فَتَنْتَجِ أَثَارَهَا النَّعْمِيَّةَ فِي أَدْنِ مُتَلَفِّيِّهَا؛ مِمَّا يُشَجِّعُهُ عَلَى التَّجَاوُبِ

الوجدانيِّ والدَّهْنِيَّ السَّرِيْعَ مَعَ النَّصِّ، وَذَلِكَ عَامٌّ فِي سَارِ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ، غَيْرَ أَنَّ ثَمَرَتَهُ فِي الْقَافِيَةِ أَظْهَرَ وَأَجْلَى.

الثَّانِي: فِي تَقَاطِعِ التَّفْعِيْلَاتِ العُرُوْضِيَّةِ لِلْبَحْرِ المَنْظُومِ فِيهِ، مَعَ العَرَضِ المَنْظُومِ فِيهِ، مَعَ الصُّوْرَةِ البِنَائِيَّةِ المُوَحَّدَةِ لِلْقَافِيَةِ، مُمَثَّلَةً فِي التِّقَاءِ الكَلِمَةِ الأَخِيْرَةِ مِنْ كَلِّ بَيْتٍ فِي حَرْفٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ حُرُوفِ البِنَاءِ اللُّغَوِيِّ، مُشْكَلَةً بِذَلِكَ الْقَافِيَةِ، مَعَ بَعْضِ الحُرُوفِ الأُخْرَى الَّتِي أُطْلِقَ عَلَيْهَا العُرُوْضِيُّونَ مَفَاهِيْمَ تَنْصِلُ جَمِيعَهَا بِالقَافِيَةِ، وَمِنْ تِلْكَ التَّسْمِيَاتِ: التَّاسِيْسُ، والسَّنَادُ، والدَّخِيْلُ، والرَّوْيُ، والصَّلَّةُ، والخُرُوجُ.

وَقَدْ نَاسَبَ ابْنُ زَرِيْقٍ فِي هَذَا النِّظْمِ بَيْنَ الْقَافِيَةِ بِاعْتِبَارِهَا مِنْ مُسْتَنْبَعَاتِ النِّظْمِ، وَدَوَاعِ الحُكْمِ عَلَيْهِ جُودَةٌ وَرِدَاءَةٌ فِي جَانِبِهِ الصَّوْتِيِّ، بِمَا لَا يَدَعُ رِيْبَةً لِمُرْتَابٍ فِي أَنَّ لِلنِّظْمِ تَعَالُقٌ ظَاهِرٌ - فِي إِبْرَازِ تَجَلِّيَاتِهِ - بِالأصْوَاتِ المُتْرَاكِبَةِ مِنَ البَحْرِ وَالتَّقْفِيَةِ، وَالتَّرَاكِيْبِ، وَالأَبْنِيَةِ الصَّرْفِيَّةِ، وَالاِشْتِقَاقَاتِ اللُّغَوِيَّةِ.

## (المِحْوَرُ الثَّانِي)

### الإيقاع الداخلي - في منظومة ابن زريق - والبنية الصوتية.

وَكَانَ سَبِيْلُهُ إِلَى إِبْرَازِ تِلْكَ القِيْمَةِ الجَمَالِيَّةِ، الإيقاعُ الشَّعْرِيُّ الدَّخْلِيُّ الَّذِي عَوَّلَ فِيهِ عَلَى بِنَاءِ أصْوَاتِ المُفْرَدَاتِ الرَّاجِعَةِ إِلَى البِنِيَةِ الصَّرْفِيَّةِ، أَوْلَا: عَلَى البِنَاءِ الكَمِّيِّ وَالكَيْفِيِّ لِلْمُفْرَدَاتِ، ثَانِيًا: عَلَى الاِشْتِقَاقَاتِ التَّصْرِيْفِيَّةِ، ثَالِثًا: مُؤَثَّرَاتِ الأصْوَاتِ الصَّائِغَةِ والأصْوَاتِ الصَّامِتَةِ فِي تَشْكِيلِ بِنِيَةِ النِّظْمِ. وَقد جَمَعَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ مُسْتَوِيَاتِ التَّوْظِيْفِ البِنَائِيِّ لِمُفْرَدَاتِ القَصِيْدَةِ جَمْعًا مُوحِيًا بِمَا انْدَرَجَ تَحْتَهَا مِنْ دَلَالَاتٍ وَمَعَانٍ.

### 1-1 البِنَاءُ الكَمِّيُّ وَالكَيْفِيُّ لِلْمُفْرَدَاتِ: (أَيْس، د ت: 3)

فَنَرَاهُ أَوْلَا: قَدْ عَوَّلَ فِي عُمُومِ النِّظْمِ عَلَى (العَيْن) وَهُوَ أَحَدُ حُرُوفِ الحَلْقِ المَجْهُورَةِ القَوِيَّةِ ذَاتِ التَّأْثِيرِ القَطْعِيِّ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى مَدَى مَا أَحَقَّهُ بِهِ الفِرَاقُ مِنَ أَلْمٍ وَتَحْسُرٍ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنَ الاِسْتِجَابَةِ لِصُحِّ ابْنَةِ عَمِّهِ، مُتَبِعًا هَذَا الرَّوْيِ الَّذِي بَنَى عَلَيْهِ الْقَافِيَةَ بِهَاءِ الضَّمِيرِ الوَصْلِيَّةِ، وَهِيَ مِنْ أْبَعَدِ حُرُوفِ الحَلْقِ مَخْرَجًا (ابن منظور، د ت: 13/1)، فَهِيَ بِذَلِكَ قَدْ شَارَكَتِ العَيْنَ فِي المَخْرَجِ، إِلاَّ أَنَّهَا اخْتَلَفَتْ عَنْهَا فِي الصَّفَةِ، فَالعَيْنُ مَجْهُورَةٌ شَدِيدَ الجَهْرِ - كَمَا أَسْلَفْتُ - وَالهَاءُ مَهْمُوسَةٌ (ابن منظور، د ت: 13/1-14) وَقد أَنْتَجَ هَذَا التَّفَاوُتُ فِي الصَّفَةِ تَفَاوُتًا مِنْ نَوْعِ آخَرَ فِي الأَدَاءِ الوِظِيْفِيِّ الصَّوْتِيِّ لِكِلَيْهِمَا؛ فَالعَيْنُ تُقَوِّي لَدَى المُتَلَقِّي الشُّعُورَ بِالنَّفْعَالِ بِكُلِّ مَشْهَدٍ يُصَوِّرُهُ الشَّاعِرُ مِنْ هَذِهِ المَنْظُومَةِ عَلَى حِدَةٍ، مِنْ خِلَالِ نَاوَتِجِ الصَّوْتِيَّةِ المُنْبَعَثَةِ مِنْ جَهْرِيَّتِهَا، عَلَى حِينِ أَنَّ الهَاءَ تُثِيرُ لَدَيْهِ الإِحْسَاسَ بِالتَّعَاطُفِ مَعَ مَا أَلَمَّ بِابْنِ زَرِيْقٍ مِنَ التَّحْرِقِ شَوْقًا إِلَى رَوْجَتِهِ وَابْنَةِ عَمِّهِ فِي الكَرْخِ؛ لِجَمْتِمَعِ عَلَى أَدَاءِ ذَلِكَ المَعْنَى صَوْتَانِ صَامِتَانِ يَكْسِرُ الأَخِيرُ



مِنْهَا حَاجِرَ الْأَسَى الْمُسْتَشْعِرِ مِنْ قِبَلِ الشَّاعِرِ بِانْفِتَاحِهِ وَاتِّسَاعِ مَخْرَجِهِ، وَانْدِفَاعِ الْهَوَاءِ مَعَهُ إِلَى أْبَعَدِ مُدَّةٍ مُمَكَّنَةٍ، مِمَّا يُؤَدِّنُ بِحِدَّةِ الْأَلَمِ الَّذِي يُعَايِشُهُ ابْنُ زُرَيْقٍ.

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ انْقَلَعَ إِلَى مُسْتَوَى جَدِيدٍ مِنْ مُسْتَوَاتِ التَّوْظِيفِ الصَّوْتِيِّ لِلْمُفْرَدَاتِ، فَانْطَلَقَ يُوَارِزُ بَيْنَ هَذِهِ الْقَافِيَةِ وَبَيْنَ أَفْرَادِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا فِي أْبْعَاضِ هَذَا النَّصِّ مِنْ أَمْتِلَةٍ (مُضْطَلِّعًا) وَ (بِالْحَطْبِ) وَ (يَحْمِلُهُ) وَ (فَضَّلَتْ) وَ (بِخُطُوبِ) وَ (أَضْلَعُهُ) مُضَمَّنًا كُلًّا مِنْهَا حَرْفًا أَكْثَرَ مِنَ الْحُرُوفِ الْحَلْقِيَّةِ الْمَجْهُورَةِ الْمُنْفِخَةِ الشَّدِيدَةِ، فَفِي (مُضْطَلِّعًا) تَرَاهُ اسْتَعْمَلَ حَرْفَيْنِ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ مُتَّخِذًا مِنْهَا سَبِيلَ إِلَى الْإِفْصَاحِ عَمَّا أَلَمَّ بِهِ مِنْ أَلَمِ الْاِغْتِرَابِ وَلَوْعَةِ الْوَحْشَةِ، حَيْثُ وَظَّفَ (الْعَيْنُ) بِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ رَسَائِلِ التَّوَجُّعِ الَّتِي يَبْعَثُ بِهَا إِلَى مَحْبُوبَتِهِ، مَتَّبِعَةً بِنَوْنِ التَّنْوِينِ السَّاكِنَةِ الَّتِي تُعَزِّزُ مَبْلَغَ الْأَسَى الَّذِي أَخَذَ مِنْهُ كُلَّ مَا خَذَ إِلَى أَنْ اسْتَوْقَفَهُ الْهَمُّ مِنْ شِدَّةِ النَّصَبِ الْحَالِّ بِهِ عِنْدَ تِلْكَ التَّنُونِ، لِيَصِلَهَا -بَعْدَ- بِالْبَاءِ الْجَارَةِ الدَّلْقِيَّةِ<sup>٥٥</sup> (إِبْرَاهِيم، 2004: 110)، الدَّاخِلَةِ عَلَى مَفْرَدَةٍ ضَمَّتْ عَدَدًا مِنَ الْحُرُوفِ تَوَسَّطَتْهَا الْخَاءُ الْحَلْقِيَّةُ الْمَجْهُورَةُ أَيْضًا مِنْ قَوْلِهِ: "بِالْحَطْبِ..."، وَتَلَاهَا الْفِعْلُ (يَحْمِلُهُ) مُشْتَمِلًا عَلَى (الْحَاءِ) الْحَلْقِيَّةِ، ثُمَّ الْفِعْلُ (ضَلَّعَتْ) وَفِيهِ (الْعَيْنُ)، ثُمَّ (بِخُطُوبِ)، وَ (أَضْلَعُهُ) وَفِيهِمَا (الْعَيْنُ، وَالْحَاءُ)، وَهُمَا مِنْ أَحْرَفِ الْحَلْقِ الَّتِي يَخْرُجُ مَعَهَا الْهَوَاءُ مُنْدَفِعًا مِنْ ارْتِنَائِهِ فِي مَجْرَاهِ الْوَاسِعِ، إِلَى أَنْ يَعْتَرِضَهَا شَيْءٌ يَحُولُ دُونِ اسْتِمْرَارِ النَّفْسِ بِهَا، وَهِيَ جَمِيعًا تُمَثِّلُ نَفْثَةَ الْمَصْدُورِ الَّتِي أَطْلَقَهَا مِنْ جَوْفِهِ تَوَجُّعًا وَحَسْرَةً عَلَى مَا فَاتَهُ مِنَ الْإِنْصَاتِ إِلَى النَّصِيحَةِ، مَعَ تَوْفُّرِ أَسْبَابِ عَدَمِ الْإِنْصَاتِ لَهَا، وَلَا يَرْتَابُ دَارِسُ لِعِلْمِ الْأَصْوَاتِ أَنَّ فِي تِلْكَ الْحُرُوفِ عَلَى رُحْتِ أَقْوَلٍ بِهَا لَا تَخْفَى فِي مَحَلِّهَا مِنَ الْاِسْتِعْمَالِ الْعَرَبِيِّ، أَلَّا تَرَى أَنَّ الْمُتَوَجِّعَ يَتَأَوَّهُ تَخْفِيفًا عَنِ نَفْسِهِ وَتَنْفِيسًا عَنِ قَلْبِهِ، بِقَوْلِهِ: "آه"، وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهَا الْهَمْزُ وَالْهَاءُ، وَهُمَا مِنْ حُرُوفِ الْحَلْقِ الْجَهْرِيَّةِ، بَلْ وَهُمَا مِنْ أْبَعَدِ حُرُوفِ الْحَلْقِ مَخْرَجًا عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَمِنْ تِلْقَاءِ ذَلِكَ أَنْبَرَى الشَّاعِرُ ابْنَ زُرَيْقٍ يَجْمَعُ الْحَرْفَ عَلَى الْحَرْفِ مِمَّا يُشَاكِلُ صَوْتَهُ صَوْتِ أَيْنِيهِ، فِي مُفْرَدَاتِ الْقَصِيدَةِ اسْتِجَابَةً لِتِلْكَ النَّزْعَةِ الْحَانِقَةِ النَّاتِرَةِ فِي طَيَّاتِ وَجْدَانِهِ.

وَمِنَ الْمَلَاخِظِ أَنَّ نَزْعَةَ الشَّجَنِ وَالْحُزْنَ الَّذِي أَلَمَّ بِهِ، فَغَصَّ بِهِ وَجْدَانُهُ، لَمْ تَقِفْ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ مِنَ التَّرْتُّمِ بِهِ عِبْرَ جِسْرِ تِلْكَ الْمُفْرَدَاتِ الَّتِي عَمَدَ إِلَى تَوْظِيفِهَا فِي هَذَا النَّصِّ لِئِشَاكِلِ بِهَا الْإِيلَامَ الَّذِي يُحْسُهُ فِي غُرْبَتِهِ، بَلْ تَخَطَّى ذَلِكَ الْجِسْرَ غُبُورًا إِلَى عَدَدٍ مِنَ الْمُفْرَدَاتِ الَّتِي ضَمَّتْ فِي تَضَاعُفِهَا حَرْفًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ حُرُوفِ بِنَائِهَا حَلْقِيًّا مَجْهُورًا، يَأْنُ كَمَا يَأْنُ، هَذَا بِطَبِيعَةِ تَكْوِينِهِ فِي أَعْضَاءِ النَّطْقِ الْبَشَرِيَّةِ، وَلِكَ لِحَالَتِهِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا.

وَمِنْ تِلْكَ الْمُفْرَدَاتِ الَّتِي شَكَّلَتْ الْأَحْرَفُ الْحَلْقِيَّةُ جُزْءًا مِنْ بِنَائِهَا الصَّرْفِيِّ: (تَعْدِيلِيهِ، نُصَحِيهِ، أَبَ، أَعْطَيْتُ، أَحْسَنَ، أَخْلَعَ، غَدَا، الْحِرْصُ، الْمَرْءُ، بَغِي، تَقَعُ، اعْتَضْتُ، خَلِي... (ابن منظور، د ت: 14/5)، وَلَا أُبَالِي حِينَ أَقُولُ إِنَّ هَذَا النَّصَّ مِنَ النَّصُوصِ الَّتِي اعْتَمَدَتْ فِي بِنَائِهَا النَّصْرِيَّةِ عَلَى الْأَحْرَفِ الْحَلْقِيَّةِ اعْتِمَادًا كَلِيًّا.

## 1-2 الاشتقاقَاتُ النَّصْرِيَّةُ:

وَمِنْ غَيْرِ الْمَلَائِمِ لِدِرَاسَةِ كَهْذِهِ، مَحَلُّ عِنَايَتِهَا أَثَرُ الْأَصْوَاتِ فِي إِحْدَاثِ التَّوَازُنِ بَيْنَ عَنَاصِرِ هَذَا النَّصِّ، وَإِبْرَازِ جَمَالِيَّتِهِ، وَالْوُقُوفِ عَلَى بَعْضِ دَلَالَاتِهِ الْمَخْفِيَّةِ، أَنْ يُغْفَلَ دَوْرَ الْأَشْتِقَاقَاتِ الصَّرْفِيَّةِ وَأَبْنِيَّةِ الْكَلِمَاتِ -بَعْدَمَا سَقْنَا الْحَدِيثَ فِيهِ عَنِ تَأْثِيرَاتِ أَصْوَاتِ الْحُرُوفِ الْمُفْرَدَةِ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الْغَرَضِ.

وَبِالْبَحْثِ فِي هَذَا الشَّقِّ يُمَكِّنُ تَحْدِيدُ بَعْضِ مَا وَقَفَ عِنْدَهُ ابْنُ زُرَيْقٍ مِنَ الْأَشْتِقَاقَاتِ الصَّرْفِيَّةِ الَّتِي تَخْدُمُ بِنَاءَ فِرَاقِيَّتِهِ هَذِهِ، وَمِنْ دُونِ عَنَاءِ نَجْدُ أَنَّهُ اسْتَعَانَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْتَقَّاتِ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ -بِوَصْفِهَا الصَّوْتِي الَّذِي تَمَيَّزَتْ بِهِ- عَلَى تَأْدِيَةِ وَظِيْفَةِ صَوْتِيَّةٍ لَمْ تَكُنْ لِتُوَدَّى إِلَّا بِهَا، وَهُوَ يُكْثِرُ مِنْ تِلْكَ الْأَشْتِقَاقَاتِ وَالْمُبَادَلَةِ بَيْنَ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي الْبِنَاءِ الصَّرْفِيِّ وَمَا يُنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِعَارِضٍ عَرَضَ لِلْكَلِمَةِ (الاشبيلي، 1998: 413) ، فَأَدَّى إِلَى تَغْيِيرِ الصَّوْتِ وَمِنْ ثَمَّ تَغْيِيرِ الدَّلَالَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِعْمَالُهُ لِكَلِمَةِ (مُضْطَلِعًا) الَّتِي نَاسَبَ فِيهَا بَيْنَ حَرْفِي الإِطْبَاقِ الضَّادِ وَالطَّاءِ، ذَلِكَ أَنْ (الاضْتِلَاعَ) بِالنَّاءِ، وَلَيْسَ بِالطَّاءِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَبْدَلَ الطَّاءِ مِنَ النَّاءِ فِي (مُضْطَلِعًا) لِتَجَانُسِ الْحَرْفَيْنِ، الطَّاءِ وَالضَّادِ مَعًا، لَيْسُوعَ بِذَلِكَ الإِدْعَامُ فِي حَرْفَيْنِ مُتَجَانِسَيْنِ بَدَلًا مِنَ (النَّاءِ) الَّتِي تَبَعُدُ عَنْهُمَا فِي الْمَخْرَجِ وَالصَّفَةِ.

مِنْ حَيْثُ كَانَ كُلُّ مِنَ الضَّادِ وَالطَّاءِ حَرْفًا مِنْ حُرُوفِ الإِطْبَاقِ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِالشَّدَّةِ وَالقُوَّةِ فِي الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ، إِلَى جَانِبِ مَا لَهَا مِنْ صِفَةِ التَّفْخِيمِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا إِعْطَاءَ انْطِبَاحٍ عَنِ الْكَلِمَةِ الْوَارِدَةِ فِيهَا بِالْفَخَامَةِ، وَلَعَلَّ هَذَا مَا دَفَعَ بِالشَّاعِرِ إِلَى تَوْظِيْفِ كَلِمَةِ (مُضْطَلِعًا) فِي هَذَا الْمَقَامِ؛ إِشْعَارًا بِحَقِيقَةِ مَا يُعَانِيهِ مِنْ اغْتِرَابِهِ الَّذِي لَمْ يَلْقَ مِنْهُ إِلَّا الْعَذَابَ.

وَمِنْ تَصَارِيْفِ الْكَلِمَةِ الَّتِي ذَهَبَ بِبِنَاؤِهَا الصَّوْتِيُّ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى حَالِهِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ، مَا تَمَثَّلَ فِي عُدُولِهِ عَنِ الْفِعْلِ (جَرَغَ) إِلَى الْفِعْلِ (تَجَرَغَ) مِنْ قَوْلِهِ: "كَأَسَا تَجَرَغَ مِنْهَا مَا أُجَرَغُهُ" وَفِي عُدُولِهِ هَذَا مَزِيَّةٌ بَلَّوَرَتْ الدَّلَالَةَ عَلَى الْمُرَادِ مِنْ إِظْهَارِ أَثَرِ مَرَارَةِ الْاِغْتِرَابِ الَّذِي أَنْعَكَسَ بِدَوْرِهِ عَلَى كِلَيْهِمَا هُوَ مِنْ جَانِبِ وَابْنَةُ عَمِّهِ مِنْ جَانِبِ آخَرَ، وَأَسْهَمَتْ فِي إِقَامَةِ الْوِزْنِ الْمَوْسِقِيِّ لِلْبَحْرِ؛ إِذْ إِنَّ مُوَدَّى (جَرَغَ) إِلَى الْإِخْلَالِ بِعَرُوضِ الشَّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ، بِمَا يَعْكُسُ تَصَوُّرًا عَنْهُ بِالِاضْطِرَابِ وَالْوَهْنِ، وَتَفَادِيًا لِذَلِكَ أَثَرُ الْحِيَادِ إِلَى (تَجَرَغَ)؛ لِمُنَاسَبَتِهَا لِلْفِعْلِ (أُجَرَغُهُ) فَتَحَدُّثُ الْمُوَازَنَةِ مِنْ خِلَالِ صَوْتِ الْحَرْفِ الْمُشَدَّدِ بَيْنَ حَالَتِهِ وَحَالَتِهَا، وَلَا تَزَانَ الشَّطْرُ مُوسِقِيًّا.

### 1-3 مؤثرات الأصوات الصائتة والأصوات الصامتة في تشكيل بنية النظم

وَبَدَأَ لِي هُنَا فِي هَذَا النَّظْمِ أَنَّ ابْنَ زُرَيْقٍ لَمْ يَكُنْ لِيُغْفَلَ دَوْرَ الصَّوَانِثِ الْمُدِّيَّةِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا الْإِبْدَانُ بِانْفِرَاجِ الْهُوَّةِ الْحَائِلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنَةِ عَمِّهِ فِي الْكَرْخِ وَهُوَ بِالْأَنْدَلُسِ يُلَاقِي مَا يُلَاقِيهِ، فَجَعَلَ مِنْ حَرْفِ الْخُرُوجِ (الواوي) خُرُوجًا عَنِ الرَّوِيِّ (العين) الْمَوْصُولَةَ بِهَاءِ الضَّمِيرِ، لِمَا يُشَكِّلُهُ صَوْتُ الْمَدِّ بِالْوَاوِ مِنَ التَّفَافِ الْأَسَى عَلَيْهِ، وَيُوجِي بِهِ مِنْ إِحَاطَةِ الْعُرْبَةِ بِهِ، كَالْتَفَافِ وَإِنْضِمَامِ عَضْوِ التُّطْقِ الْمُخْتَصِّ بِالْوَاوِ، وَهُوَ الشَّفَقَاتَانِ عِنْدَ إِخْرَاجِهَا (ابن جني، 2008: 223/3) عَلَيْهَا، وَذَلِكَ مِنْ مَعَايِيرِ الْحُكْمِ عَلَى أَبْنِيَّةِ أَكْثَرِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَتْ الْوَاوُ أَحَدَ حُرُوفِهَا.

## (المحور الثالث)

### الدرس الصوتي، والإيقاع البلاغي

لا شك في أن الدراسة الصوتية لخصائص العربية لم تقتصر على جانب بناء الكلمة، وعدد أحرفها، وترتيبها فيها، بل اتجه البحث الصوتي اتجاهًا أرحب من ذلك في تحديد معايير قياس الصوت وتنظيمه ضمن سلسلة من الكلمات في العبارة، وذلك ما أشار إليه الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس، في إطار حديث عن أصوات اللغة، واختصاصه لدراسة الفونولوجية وإثاره على دراسة الصوتيات تحت عنوان الفوناتيكا، لعموم الأولى وخصوصية الثانية بدراسة أصوات الحروف المفردة وظاهرة التنعيم فيها في سائر اللغات (أنيس، د: 3). ولا يمكن الرجوع إلى دراسة التركيب النحوي وحده - باعتباره معيارًا على تأثير الصوت اللغوي في جمالية العبارة، أو في إيحائه بشيء من دلالتها المركزة فيه - بل لا بد من التوجه إلى التناغم الحادث بين كل من التركيب النحوي في بلورة الأصوات اللغوية في نص ما، والفنون البلاغية الثلاثة في مستوياته الإحالية المختلفة كالجناس، والسجع، والتصریح، والبدیع، والاستعارة والتشبيه من البيان، والفصل والوصل والخبر والإنشاء من المعاني. (صنباوي، 2015: 133)

وقد رتب ابن زريق بعض دلالات الأصوات التي اضطلع بتوظيفها في نصه الذي بين أيدينا، على التركيب الواردة فيه بالتعاضد بينه وبين الأساليب البلاغية الرثانة التي أحدثت إلى جانب التركيب النحوي صوتًا مُنعمًا تملأ أصدأه المسامع، وتحرك الوجدان.

ومن تجليات التنعيم الصوتي المعول فيه على بلاغة المقام في قصيدة ابن زريق ابتدأت القصيدة بتصریح البيت الأول منها، وهو لونٌ بدعيٌّ يراد منه التشبيه وجذب السامع وتشويقه إلى ما يتلو هذا البيت، لاسيما لو أنسم المصراعان باللتام العروض والضرب من البيت المصراع، وتميزًا بقوة القافية في الصدر والعجز، وفي هذا إشارة من ابن أبي الإصبع المصري، تلوح بتعزيز بلاغة الدلالة الصوتية في كل من عروض البيت وضربه للتصریح، بل إن إشارته تلك تقوم على ذلك المعنى. (المصري، 2014: 305)

فإن الصوت الذي أحدثه التناغم المصراعين في هذا البيت:

لا تعذليه؛ فإن العذل يولعه      قد فلت حقا ولكن ليس يسمعه  
ممثلًا في عروض المصراع الأول: "يولعه" وضرب المصراع الثاني: "يسمعه" أضفى صورة جمالية متناغمة تأخذ بمجامع القلب، وترد المتلقي إلى النظم كلما تقلت عن ذهنه.

- كما لا يخفى ما في تجنيس التغيرات الذي أحدثه الشاعر في بيته:

..... مضطلعًا بالخطب يحمله      فضلعت بخطب      سوب النبيين أضلعه  
بين (مضطلعًا)، و (فضلعت) و (أضلعه) من حيث جانس بين مضطلعًا من أول البيت، وهي اسم، و فضلعت من أول الشطر الثاني للبيت نفسه، وهي فعل، ثم بين هذا الفعل و أضلعه، وهي اسم أيضًا،

جِنَاسٌ مُغَايِرَةٌ جَلَبَ عَلَى الْبَيْتِ رَنِيئًا وَتَنغِيمًا صَوْنِيًّا تَشَارِكْتَ الْكَلِمَاتُ الثَّلَاثَةُ فِي تَجْلِيهِهِ وَتَبْيِينِ مَدَى مَا يُوقِعُهُ فِي نَفْسِ الْمُتَلَقِّي مِنَ الْإِذْعَانِ لِلدَّلَالَةِ الْمَنْشُزَةِ مِنْهُ، بِتَجَانُسِ أَحْرَفِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ وَاجْتِمَاعِهَا عَلَى أَدَاءٍ وَظَائِفٍ لُغَوِيَّةٍ مُتَغَايِرَةٍ لِمَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ. (المصري، 2014: 102-104)

وَمِنْ تَمَامِ الْإِيغَالِ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الدَّلَالَةِ وَاسْتِطْبَاطِ الْمَعْنَى فِي هَذَا الْبَيْتِ شَمَّرَ لِاسْتِعَانَةِ بِطَرِيقَةِ بَدِيعِيَّةٍ أُخْرَى، تَحَصَّلَتْ لَهُ مِنْ رَدِّ الصِّدْرِ عَلَى الْعُجْزِ فِي الْبَيْتِ السَّالِفِ، مِنْ قَوْلِهِ: " مُضْطَلِعًا، وَقَوْلِهِ: "أَضْلَعُهُ" وَبَيْنَهُمَا تَجَانُسٌ، وَاتِّفَاقٌ فِي الْإِشْتِقَاقِ، دُونَ اتِّحَادِهِمَا فِي الْمَعْنَى (الأشقر، 1995: 308)

وَأَبْرَزَ رَدُّهُ لِعُجْزِ الْبَيْتِ عَلَى صَدْرِهِ مَا فِيهِ مِنَ التَّجَانُسِ الْمُفْضِي إِلَى الدَّلَالَةِ الْمُرَادَةِ مِنَ الْإِمَامَةِ بِأَنَّ الْخُطُوبَ الَّتِي اضْطَلَعَ عَلَيْهَا ضَلَّعَتْ -أَيَ مَزَقَتْ ضُلُوعَهُ-، وَقَدْ سَطَرَ الشَّاعِرُ بِهَذَا اللَّوْنِ الْبَدِيعِيَّ سَطْرًا مُوَازِيًا لِنَمَطِ النَّصِّ وَعَرَضَ إِنْشَائِهِ، مُسْتَعِينًا عَلَى ذَلِكَ بِتَنْمِيقِ الطَّرِيقَةِ الْبَلَاغِيَّةِ بِالظُّوْهِرِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي وَظَّفَهَا مِنْ خِلَالِ مُشَاكَلَةِ الْكَلِمَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي السَّبَبِ لِلْكَلِمَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي النَّتِيجَةِ؛ حَيْثُ جَعَلَ مِنْ تَضْلُعِهِ بِحَمْلِ الْخُطُوبِ سَبَبًا فِي تَكْسُرِ ضُلُوعِهِ بِهَا.

- وَمِنْ عَنَاصِرِ الْبِنَاءِ الصَّوْتِيِّ فِي هَذِهِ النَّظْمِ، الدَّلَالَةُ عَلَى تَأْثِيرِ الصَّوْتِ دَاخِلَ التَّرْكِيبِ، فِي بِنَاءِ الْمَعْنَى جَمْعُهُ بَيْنَ الْأَضْدَادِ عَلَى جِهَةِ الْمُطَابَقَةِ فِي قَوْلِهِ:

كَأَنَّمَا هُوَ فِي حِلٍّ وَمُرْتَحِلٍ مُوَكَّلٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ يَذْرَعُهُ  
ذَلِكَ أَنَّنَا نَقْفُ عَلَى هَذَا التَّنغِيمِ الصَّوْتِيِّ الَّذِي مَهَّدَ لِتَحْصِيلِ مَعْنَى الْبَيْتِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ، فِي صُورَةِ الْمَفَارَقَةِ الضَّدِّيَّةِ بَيْنَ عُنْصُرِي الْأَسْلُوبِ الْبَلَاغِيِّ: "حِلٌّ" وَ"مُرْتَحِلٌ" فِي إِطَارِ التَّشْبِيهِ الَّذِي صَوَّرَ فِيهِ ابْنَ زُرَيْقٍ الْحَالَةَ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا بِمَنْ كَانَ أَمْرُهُ فِي كُلِّ شَأْنٍ مُوَكَّلٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ الَّذِي يَنْتَهِي بِهِ سَرِيعًا إِلَى مَصَارِعِهِ. تُؤَافِقُ مَعْنَى تِلْكَ الْمَفَارَقَةِ مِنْ جَانِبِينَ، الْأَوَّلُ: بِإِجْرَائِهَا دَاخِلَ صَوْمَعَةِ التَّشْبِيهِ، وَالثَّانِي: بِإِنْعِقَادِهَا أَثَرَهَا بِوَاسِطَةِ الصَّوْتِ الَّذِي أَحْدَثَتْهُ الْكَلِمَتَانِ مُتَابِعَتَيْنِ (حِلٌّ، وَمُرْتَحِلٌ)، وَلَا سِيَّامَا أَنَّهُ مَرَجَ هَذِهِ الْمَفَارَقَةَ فِي تَرْكِيبِ نَحْوِيٍّ يُظْهِرُ جَانِبَ الْإِيْقَاعِ النَّاشِئِ عَنِ التَّنغِيمِ الْمُتَدَاخِلِ مَعَ النَّضَادِ الْوَاقِعِ بَيْنَ تَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ.

- وَمِنْ جُمْلَةِ بَلَاغَةِ النَّصِّ الْمُعْتَمَدَةِ عَلَى الصَّوْتِ، أَوْ الَّتِي اعْتَمَدَتْ هِيَ عَلَى الْجَانِبِ الصَّوْتِيِّ مِنْهَا لِقُوَّةِ الْأَدَاءِ، وَإِبْرَازِ الدَّلَالَةِ، وَتَشْكِيلِ مَلَامِحِ الْجَمَالِيَّةِ فِي الْبَيْتِ:

اعْتَضَتْ مِنْ وَجْهِ خَلِيٍّ بَعْدَ فِرْقَتِهِ كَأَسَا تَجَرَّعَ مِنْهَا مَا أُجْرَعُهُ  
بِمَا يَنْعَكِسُ بِدَوْرِهِ عَلَى سَابِقِهِ وَتَالِيهِ؛ فَيُسْهِمُ فِي التَّوْشِيحِ لِعَنَاصِرِ الْبِنَاءِ مَا أَفْصَحَ بِهِ عَنِ مَكْنُونِ خَاطِرِهِ وَمُضْمَرَاتِ وَجْدَانِهِ، إِعْمَالُهُ لِكَلِمَةِ (اسْتَعَضَتْ) فِي الْبُوحِ عَنِ الْإِسْتِدَالِ غَيْرِ النَّاجِعِ لِمَحْبُوبَتِهِ بِكَأْسٍ مُرَّةٍ يَتَجَرَّعُهَا وَيُجْرَعُهَا مِنْهَا، فَقَدْ بَلَّغَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنَ الْفَصَاحَةِ فِي مَوْضِعِهَا مَبْلَغًا يُعْجِزُ الْمُتَلَقِّيَّ عَنِ إِدْرَاكِهِ خَارِجَ هَذَا التَّرْكِيبِ الَّذِي أَبْرَزَ قِيمَتَهَا الْإِسْتِعْمَالِيَّةَ الْمَقَامِيَّةَ أَكْثَرَ، فَتَرَاهُ قَدْ عَمَدَ إِلَى تَعْزِيزِ قَضِيَّةِ تَسْبِيهِ فِي أَنْ يَجْرَعَ وَأَنْ يُجْرَعَ مَحْبُوبَتَهُ هَذِهِ الْكَأْسِ، إِلَى هَذِهِ الْمُفْرَدَةِ الَّتِي اِكْتَنَفَتْ فِيهَا التَّأَنُّانِ حَرْفَ الضَّادِ سَابِقًا عَلَيْهِ وَوَلَا حَقًّا بِهِ، مِمَّا يُشْعِرُ بِإِنْجِبَاسِ الشَّاعِرِ فِي نِسْبَةِ الْإِحْسَاسِ بِهَذَا الذَّنْبِ الَّذِي أَقْتَرَفَهُ فِي حَقِّ نَفْسِهِ وَحَقِّ مَحْبُوبَتِهِ، كَانْجِبَاسِ الضَّادِ بَيْنَ هَاتَيْنِ التَّائِيْنِ.

وَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يُؤْمُ هَذَا الْمَعْنَى الْمُبْرَزِ عَلَى صُورَتِهِ الصَّوْتِيَّةِ الْمُثَلَّةِ فِي صَوْتِ النَّاءِ الْمَهْمُوسَةِ الرَّخْوَةِ، الَّتِي احْتَاطَتْ الضَّادُ الْمُطْبَقَةُ الشَّدِيدَةَ، فَإِنَّهُ - فِي أَقْلِ التَّقْدِيرِينَ - اسْتَطَاعَ بِجَحْسِهِ الْمُرْهَفِ وَشَاعِرِيَّتِهِ الْمُهَيِّمَةِ عَلَى الْغَرَضِ أَنْ يَتَحَسَّسَ الطَّرِيقَ إِلَى التَّعْبِيرِ بِهَذِهِ الْمُفْرَدَةِ مُدْخَلَةً فِي هَذَا التَّرْكِيبِ، الَّذِي اسْتَعَانَ فِيهِ بِعُنْصُرٍ آخَرَ مِنْ عُنَاصِرِ الْبِنْيَةِ الْبَلَاغِيَّةِ ذَاتِ التَّأثيرِ فِي الْمَعْنَى وَجَمَالِيَّةِ الْإيقَاعِ الصَّوْتِيِّ، بِوَصْلِهِ هَذَا الْبَيْتَ الْآتِفِ، بِسَابِقِهِ:

لَوْ أَنَّي لَمْ تَقْعَ عَيْنِي عَلَى بَلَدٍ فِي سَفَرْتِي هَذِي إِلَّا وَأَقْطَعُهُ  
بِإِسْقَاطِ الْعَاطِفِ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلَ الرَّابِطِ بَيْنَ جُمْلَةٍ: "لَوْ أَنَّي..." وَجُمْلَةٍ: "اعْتَضْتُ..." لِمَا  
بَيْنَهُمَا مِنْ مُنَاسَبَةِ الْوَصْلِ؛ فَإِنَّ ثَانِيَهُمَا تَقَعُ مِنَ الْأُولَى مَوْجِعَ النَّتِيجَةِ مِنَ السَّبَبِ، لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ تَمَامِ  
الِاتِّصَالِ. (السكاكي، 2008: 104)

## الخاتمة

- بعد الانتهاء من هذا البحث الذي كان محور دورانه على الآثار الصوتية المترتبة على فض عذرة القصيدة الفراقية لابن زريق، وبيان تأثيرات تلك الأصوات في الوقوف على كنه المعنى المنشود منها - بأن هذه الدراسة لم تكن الوحيدة في هذا الصدد، إلا أن نظرتي لآثار الناجمة عن هذه الأصوات الموظفة في هذا النص بكل مستوياتها وتشكلاتها اختلفت اختلافاً ظاهراً، يبدو للوهلة الأولى للقارئ في:
- 1) استبطان المعنى المنشود من فراقية ابن زريق بالترتيب على تلك الأصوات، لا بتحليل الأصوات ودراستها بمعزل عن النص.
  - 2) ملكة ابن زريق الشعرية اللغوية التي مكنته من تهيئة المتلقين لاستقبال نصه الذي بين أيدينا، من خلال حرصه على توظيف الأصوات الأشد تأثيراً فيهم.
  - 3) موازنة ابن زريق - حيالاً توظيفه لتلك الأصوات - بينها في مواضعها الأشكل بها، وبين ما يدعم البناء الشكلي لنصه، كالأبنية التصريفية، والاشتقاقات اللغوية، والصور البيعية.
  - 4) توثيق ابن زريق للعلاقة الممزوجة بين البحر المستخدم في قصيدته، والقافية الموظفة فيه؛ للدلالة بها على معان تكاد - لولاها - تخفى إلا على من اتسع فهمه ووعيه لما عساه تجري به سنن الكلام العربي، لاسيما في المنظوم منه.
  - 5) تعويل الشاعر على كل ما جادت به قريحته من ألوان الدلالة الصوتية في بلورة مغازي خطابه الشعري ذي الشجون في هذا النظم.
  - 6) تفرّد ابن زريق في شعراء بني عصره (العباسي) - مع إقلاله في النظم - بهذه القوة الإيحائية المتخذة من الظواهر الصوتية جسراً يعبر به إلى المعنى المراد.

## المصادر والمراجع:

- 1- المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن، (1951) شرح ديوان الحماسة، تحقيق/ عبد السلام هارون، حمد أمين، ط الخانجي، ط 1 .
- 2- إبراهيم، د. سعاد عبد الفتاح(2004م) فن تجويد القرآن، مطابع دار الهندسية، القاهرة مصر، ط5.
- 3- ابن عصفور الإشبيلي، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد النحوي الحضرمي، (1998م)، المقرب، ومثل المقرب، بتحقيق كل من الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، درار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.
- 4- ابن جنبي أبو الفتح عثمان، (2008م) الخصائص، تحقيق د محمد علي النجار، دار عالم الكتب، ط1.
- 5- صانباوي، كريمة، (2015) مباحث الصوتيات في الدرس العربي القديم، فصاحة الألفاظ أنموذجاً، مجلة دراسات الأدبية، جامعة أدرار الجزائرية، عدد ديسمبر.
- 6- المصري، ابن أبي الإصبع، (2014م) التحرير والتحرير، تحقيق/ د. حفني محمد شرف، المجلس القومي للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، د ط.
- 7- الأشقر، د. عبد المنعم سيد، (1995م)، نظرات في علم البديع، جامعة الأزهر، أسيوط، الطبعة الأولى.
- 8- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، (د ت) لسان العرب المحيط، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط.
- 9- السكاكي، سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، (2008م) مفتاح العلوم، المكتبة التوفيقية، تأحمد محمد مصطفى، ط1.
- 10- شرتح، عصام، (2011) موحيات الخطاب الشعري، دراسة في شعر السماوي، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، ط1.
- 11- الصفدي، خليل بن أبيك بن عبد الله، (2000م) الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط - تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط1..
- 12- الكحلة، عمر رضا، (1957م) معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون ذكر المحقق، د ط.

- 13- السراج، أبو محمد جعفر بن أحمد بن السراج، (د ت) *مَصَارِعُ الغَشَاقِ*، دار صادر، بيروت، لبنان، تحقيق/ لجنة تحقيق التراث بالدار، د ط.
- 14- مبروك، أ.د. مراد عبد الرحمن (2010م) *الهندسة الصوتية الإيقاعية في النص الشعري بين الثبات والتغير*، دار النشر للجامعات، ط1.
- 15- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (1989م) *القسطاس في علم العروض*، تحقيق د. فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت، ط2.
- 16- السعدني، د. مصطفى (1989) *الملفوظ الشعري (جدلية بين الدال والمدلول)*، مكتبة منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، ط1.
- 17- أنيس، د. إبراهيم (د ت) *الأصوات اللغوية*، مطبعة نهضة مصر، الطبعة الأولى، بدون سنة نشر.

#### **References:**

- 1 -Al-Marzouqi, Ahmed bin Muhammad bin Al-Hassan, (1951) Explanation of Diwan Al-Hamasah, investigation / Abdul Salam Haroun, Hamad Amin, I Al-Khanji, 1st edition.
- 2- Ibrahim, Dr. Suad Abdel-Fattah (2004 AD) The Art of Innovating the Qur'an, Dar Al-Handasia Press, Cairo, Egypt, 5th Edition.
- 3 -Ibn Asfour Al-Ishbili, Abu Al-Hassan Ali Bin Moamen Bin Muhammad Bin Ali Bin Ahmed Al-Nahwi Al-Hadrami, (1998 AD), Al-Muqrab, and the Proverb of Al-Muqrab, with the investigation of both Sheikh / Adel Ahmed Abdel-Mawgoud and Sheikh / Ali Muhammad Moawad, Darar Scientific Books, Beirut, Lebanon, 1st edition.
- 4 -Ibn Jinni Abu Al-Fath Othman, (2008 AD), Al-Khasa'is, investigation by Dr. Muhammad Ali Al-Najjar, Dar Alam Al-Kutub, 1st Edition.
- 5- Sunbawi, Karima, (2015) phonetics investigations in the ancient Arabic lesson, the eloquence of words as a model, Literary Studies Journal, Adrar University, Algeria, December issue.
- 6 -Al-Masry, Ibn Abi Al-Isbaa, (2014 AD) editing and inking, investigation / d. Hafni Muhammad Sharaf, National Council for Islamic Affairs, Cairo, Egypt, Dr. i.
- 7 -Al-Ashqar, Dr. Abdel Moneim Sayed, (1995 AD), Views on the Science of the Badi', Al-Azhar University, Assiut, first edition.
- 8- Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram bin Ali Abu Al-Fadl Jamal Al-Din Al-Ansari, (D.T.), Lisan Al-Arab Al-Muheet, Dar Sader, Beirut, Lebanon, ed.
- 9- Al-Sakaki, Siraj Al-Din Abu Yaqoub Yusuf bin Abi Bakr Muhammad bin Ali, (2008 AD) Key to Science, Al-Tawfiqiyyah Library, T. Ahmed Muhammad Mustafa, 1st edition.
- 10- Shertah, Essam, (2011) Mohaiyat of Poetic Discourse, A Study in Al-Samawi Poetry, King Fahd National Library, Kingdom of Saudi Arabia, 1st edition.

11 -Al-Safadi, Khalil bin Aybak bin Abdullah, (2000 AD) *Al-Wafiyyat al-Wafayat*, investigation by Ahmed Al-Arnaout - Turki Mustafa, Dar Ihya Al-Turath, Beirut, Lebanon, 1st edition..

12- Al-Kahla, Omar Reda, (1957 AD) *The Authors' Dictionary*, Arab Heritage Revival House, Beirut, Lebanon, without mentioning the investigator, d.

13- Al-Sarraj, Abu Muhammad Jaafar bin Ahmed bin Al-Sarraj, (D.T.) *The Lover's Wrestler*, Dar Sader, Beirut, Lebanon, investigation / Heritage Investigation Committee in the House, Dr. I.

14 -Mabrouk, Prof. Dr. Murad Abdel Rahman (2010 AD) *Rhythmic Sound Geometry in the Poetic Text Between Stability and Change*, Publishing House for Universities, 1st edition.

15 -Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmed, (1989 AD) *Al-Qastas in the science of performances*, investigation by Dr. Fakhr al-Din Qabawa, Al-Ma'arif Library, Beirut, 2nd edition.

16 -Al-Saadani, Dr. Mostafa (1989) *The poetic utterance (a dialectic between the signifier and the signified)*, Manshaat al-Maarif Library, Alexandria, Egypt, 1st edition.

17- Anis, Dr. Ibrahim (D.T.) *Linguistic Voices*, Nahdt Misr Press, first edition, without a year of publication.